المحاضرة 01: ماهية البحث العلمي

1. مفهوم البحث العلمي

أ. التعريف اللغوي: تتكون عبارة البحث العلمي من كلمتين "البحث" و"العلمي"، فالأولى ترد إلى الفعل الماضي بحث وتعني التقصي والطلب والتفتيش والتتبع، أما كلمة علمي فهي منسوبة إلى العلم الذي هو ضرب من ضروب المعرفة العلمية الذي يتصف بخصائص تميزه عن غيره من المعارف من وضعية وموضوعية ودقة وغيرها مما يميز العلم عن اللاعلم.

ب. التعريف الاصطلاحي: يعرفه عبد الباسط محمد علي" أنه عملية من خلالها نحاول تقصي الوقائع والأحداث بطريقة دقيقة لظاهرة ما وذلك باستخدام المنهج العلمي بتقنياته المختلفة الكمية والكيفية، وذلك بهدف الوصول الى حقائق يمكن التحقق منها مستقبلا".

وهو" الأسلوب المنظم في جمع المعلومات وتدوين الملاحظات والتحليل الموضوعي لتلك المعلومات، بإتباع أساليب ومناهج علمية محددة بقصد التأكد من صحتها أو تعديلها أو إضافة الجديد لها، ومن ثم التوصل إلى بعض القوانين والنظريات والتنبؤ بحدوث مثل هذه الظواهر والتحكم في أسبابها، كما أن البحث العلمي هو الطريق الوحيد للمعرفة حول العالم".

وفي ضوء هذه التعاريف، يمكن الخروج بتعريف ومفهوم عن البحث العلمي بانه: عبارة عن مجموعة القواعد والإجراءات المنهجية المنظمة والمحددة والدقيقة لدراسة ظاهرة أو مشكلة ما والتعرف على عواملها المؤثرة في ظهورها للتوصل إلى نتائج تفسر ذلك.

2. خصائص البحث العلمي

للبحث العلمي جملة من الخصائص والمميزات، نستطيع استخلاصها من التعريفات السابقة، أهمها:

أ. البحث العلمي بحث منظم ومضبوط :أي أن البحث العلمي نشاط عقلي منظم ومضبوط ودقيق ومخطط، حيث أن المشكلات والفروض والملاحظات والتجارب والنظريات والقوانين، قد تحققت

واكتشفت بواسطة جهود عقلية منظمة ومهيأة جيدا لذلك، وليست وليدة مصادفات أو أعمال ارتجالية، وتحقق هذه الخاصية للبحث العلمي، عامل الثقة الكاملة في نتائج البحث .

ب. البحث العلمي بحث نظري :لأنه يستخدم النظرية لإقامة وصياغة الفرض، الذي هو بيان صريح يخضع للتجارب والاختبار .

ج. البحث العلمي بحث تجريبي :لأنه يقوم على أساس إجراء التجارب والاختبارات على الفروض، والبحث الذي لا يقوم على أساس الملاحظات والتجارب لا يعد بحثا علميا. فالبحث العلمي يؤمن ويقترن بالتجارب.

د. البحث العلمي بحث حركي وتجديدي :لأنه ينطوي دائما على تجديد وإضافات في المعرفة، عن طريق استبدال متواصل ومستمر للمعارف القديمة بمعارف أحدث وأجد .

هـ. البحث العلمي بحث تفسيري :لأنه يستخدم المعرفة العلمية لتفسير الظواهر والأشياء بواسطة مجموعة من المفاهيم المترابطة تسمى النظريات.

و. البحث العلمي بحث عام ومعمم :لأن المعلومات والمعارف لا تكتسب الطبيعة والصفة العلمية، إلا إذا كانت بحوثا معممة وفي متناول أي شخص، مثل الكشوف الطبية.

3. أهمية البحث العلمي

يمكن ذكر أهمية البحث العلمي في النقاط التالية:

أ. يفتح البحث العلمي آفاقا واسعة أمام الباحث لاكتشاف الظواهر المختلفة، في مجال العلوم الطبيعية والاجتماعية والإنسانية، بالاعتماد على مصادر المعلومات والبيانات الأولية والثانوية.

ب. البحث العلمي هو الوسيلة التي تستطيع المجتمعات بواسطتها اجتياز العقبات، والتخطيط للمستقبل وتفادي الأخطاء.

ج. البحث العلمي ضروري لجميع الفئات في المجالات المختلفة، حيث يساهم البحث في حل المشكلات.

د. يسمح البحث العلمي بفهم جديد للماضي في سبيل انطلاقة جديدة للحاضر ورؤية استشرافية للمستقبل.

4. أنواع البحوث العلمية

تنقسم البحوث العلمية من حيث طبيعتها إلى:

أ. البحث النظري: هدف هذا النوع من البحوث هو التوصل إلى الحقيقة وتطوير المفاهيم النظرية ومحاولة تعميم نتائجها، ويجب على الباحث في هذا المجال أن يكون ملما بالمفاهيم والافتراضات وما تم إجراؤه من قبل الآخرين للوصول إلى المعرفة حول مشكلة معينة.

ب. البحث التطبيقي: يهدف البحث التطبيقي إلى معالجة مشكلات قائمة بذاتها والتأكد من صحة ودقة مسبباتها ومحاولة علاجها وصولا إلى نتائج وتوصيات تساهم في التخفيف من حدة هذه المشكلات.

وتجدر الإشارة إلى انه من الصعب أحيانا الفصل بين البحوث النظرية التطبيقية وذلك للعلاقة التكاملية بينهما، فالبحوث التطبيقية غالبا ما تعتمد على الأولى في بناء فرضياتها وتساؤلاتها على الأطر النظرية، كما أن البحوث النظرية تعتمد على البحوث التطبيقية في إعادة النظر في منطلقاتها النظرية لتكييفها مع الواقع.

أما من حيث الاستعمال فان البحوث العلمية تقسم إلى:

أ. المقالة

وهي بحوث قصيرة يقوم بها الطالب الجامعي، خلال مرحلة الليسانس، بناء على طلب أساتذته في المواد المختلفة، وتسمى عادة بالمقالة أو البحوث الصفية. (نسبة إلى الصف أي القسم)، وتهدف إلى تدريب الطالب على تنظيم أفكاره، وعرضها بصورة سليمة، وعلى استخدام المكتبة ومصادرها، وتدريبه على الإخلاص والأمانة وتحمل المسؤولية في نقل المعلومات، وقد لا يتعدى حجم البحث عشر صفحات.

ب. مشروع التخرج أو البحث.

ويسمى عادة " مذكرة التخرج "، وهو يطلب في الغالب كأحد متطلبات التخرج بدرجة الليسانس، وهو من البحوث القصيرة، إلا أن أكثر تعمقا من المقالة، ويتطلب من الباحث مستوى فكريا أعلى ومقدرة أكبر على التحليل والمقارنة والنقد. وهنا يعمل الباحث مع أستاذه المشرف على تحديد إشكالية ضمن موضوع معين يختاره الطالب، والغرض منه هو تدريب الطالب على اختيار موضوع البحث، وتحديد الإشكالية التي سيتعامل معها، ووضع الافتراضات اللازمة لها، واختيار الأدوات المناسبة للبحث، بالإضافة إلى تدريبه على طرق الترتيب والتفكير المنطقي السليم، والاستزادة من مناهل العلم، فليس المقصود منه التوصل إلى ابتكارات جديدة أو إضافات مستحدثة. بل تنمية قدرات الطالب في السيطرة على المعلومات ومصادر المعرفة، في مجال معين والابتعاد عن السطحية في التفكير والنظر.

ج. الرسالة

وهو بحث يرقى في مفهومه عن المقالة أو مشروع البحث، ويعتبر أحد المتممات لنيل درجة علمية عالية عادة ما تكون درجة الماجستير.. والهدف الأول منها هو أن يحصل الطالب على تجارب في البحث تحت إشراف أحد الأساتذة ليمكنه ذلك من التحضير للدكتوراه .وتعتبر امتحانا يُعطي فكرة عن مواهب الطالب، ومدى صلاحيته للدكتوراه. وهي فرصة ليثبت الطالب سعة اطلاعه وعمق تفكيره وقوته في النقد، والتعبير

فيما يصادفه من أمور .وتتصف الرسالة بأنها بحث مبتكر أصيل في موضوع من الموضوعات، أو تحقيق مخطوطة من المخطوطات التي لم يسبق إليها. وتعالج الرسالة مشكلة يختارها الباحث ويحددها، ويضع افتراضاتها، ويسعى إلى التوصل إلى نتائج جديدة لم تعرف من قبل، ولهذا فالرسالة تحتاج إلى مدة زمنية طويلة نسبيا، قد تكون عاما أو أكثر.

د. الأطروحة

يتفق الأساتذة ورجال العلم على أن الأطروحة هي بحث علمي أعلى درجة من الرسالة، وهي للحصول على درجة الدكتوراه، ولهذا فهي بحث أصيل، يقوم فيه الباحث باختيار موضوعه، وتحديد اشكاليته، ووضع فرضياته، وتحديد أدواته واختيار مناهجه، وذلك من أجل إضافة لبنة جديدة لبنيان العلم والمعرفة .وتختلف أطروحة الدكتوراه عن الماجستير في أن الجديد الذي تضيفه للمعرفة والعلم يجب أن يكون أوضح وأقوى، وأعمق وأدق، وأن تكون على مستوى أعلى .وقد يمتد الزمن بالباحث لأكثر من سنة أو سنتين، وربما عدة أعوام.. وتعتمد رسالة الدكتوراه على مراجع أوسع، وتحتاج إلى براعة في التحليل وتنظيم المادة العلمية، ويجب أن تعطي فكرة عن أن مقدمها يستطيع الاستقلال بعدها بالبحث، دون أن يحتاج إلى من يشرف عليه ويوجهه.

أما من حيث المنهج فتنقسم البحوث العلمية إلى:

أ. بحوث استكشافية.

ب. بحوث تاريخية.

ج. بحوث وصفية.

د. بحوث تجريبية.

كما يمكن أن تنقسم البحوث حسب طبيعة البيانات إلى:

أ. بحوث كمية.

ب. بحوث كيفية.

6. صعوبات البحث العلمي

يواجه الباحث أثناء قيامه بالبحث العلمي عدة صعوبات منذ الوهلة الأولى، وربما إلى آخر محطات بحثه، وسنحاول تسليط الضوء على بعض منها:

أ. **صعوبة تحري الموضوعية في البحث العلمي:** بما أن الباحث في حقل العلوم الاجتماعية والإنسانية يتعامل مع ظواهر اجتماعية وإنسانية يكون جزءا منها فمن الصعب أن يفصل ذاته عن موضوع بحثه 100% بشكل تام، ويمكن أن نبرز ذلك على ثلاث مستويات (الباحث/البحث/المبحوث).

- الباحث: ويمكن أن نقدم مجموعة من النصائح لتجنب هذا الإشكال وهي:
  - التجرد من الأهواء والميول الذاتية والأحكام القيمية والانفعالية.
  - عدم الميل إلى استخدام العبارات التعميمية (مما لاشك فيه، لا يختلف عليه اثنان، مما اتفق عليه العقلاء...) واستخدام عبارات تدل على النسبية (أحيانا، نسبيا، قد يعود..).
  - تدعيم الآراء التي يستند إليها الباحث بالحجج المنطقية وبالمراجع العلمية ذات الإثباتات الميدانية.
  - عدم الابتعاد عن الموضوع الأساسي للدراسة لأنه يوقع الباحث في مزلق السهو عن الهدف الأساسي للدراسة.
  - من الأفضل أن يضع الباحث في حساباته الآراء التي تقف ضد توجهاته وأفكاره محاولا اختبارها ميدانيا أو حتى التحاور معها منطقيا، هذا يدخل في باب احترام عقل الآخر وعدم التعصب للآراء الخاصة.
- البحث: وهنا يتعين على الباحث صياغة بحثه بمختلف مراحله النظرية والميدانية بكل دقة وضبط متنقلا بين هذه المراحل بتسلسل منهجي ومنطقي خال من الاندفاع، وإعطاء كل مرحلة حقها من التحليل والتفسير المستند إلى أدلة علمية وميدانية واضحة(مشكلة البحث، المفاهيم، الفروض، العينة، المنهج..)
- المبحوث: عندما يرتبط موضوع البحث بجوانب سياسية أو دينية أو تحت باب القيم الاجتماعية يصعب أن يدلي المبحوث إجاباته صحيحة وربما امتنع عن الإجابة أصلا خوفا من أن تستخدم ضده، لأنه عبارة عن تركيبة من الدوافع والرغبات والتوجهات تحكمها الظروف الاجتماعية والثقافية، فمن الممكن أن يغير المبحوث سلوكاته عندما يشعر أنه خاضع للملاحظة أو الدراسة وكي يتجنب الباحث هذه الصعوبة عليه:
  - استخدام أكثر من وسيلة لجمع البيانات، كاستخدام الاستبيان والملاحظة معا، أو المقابلة والاستبيان.
  - يعمد الباحث إلى وضع جملة من الأسئلة ذات المعاني المترادفة، ونشرها على مسافات متفاوتة داخل استمارة الاستبيان أو المقابلة، وذلك للتعرف على مدى جدية المبحوث ومصداقية إجابته.

ت. صعوبة التحكم وضبط الظاهرة الاجتماعية والإنسانية، وذلك لكونها متغيرة وتتدخل في حدوثها عدة عوامل متشابكة يصعب الفصل فيما بينها.

ث. صعوبة ضبط المفاهيم في العلوم الإنسانية والاجتماعية، على عكس العلوم الطبيعية والدقيقة.

ج. قلة المعدات والوسائل المستخدمة في البحث وكذا قلة مخابر البحث المجهزة.

ح. صعوبة الحصول على مصادر لتمويل البحث العلمي خاصة في الدول المتخلفة أو السائرة في طريق النمو.